

روح المعاني

يلزم من عدم استنكاف المفضل عدم استنكاف الأفضل فالحاجة داعية إلى ذكر الملائكة إذ لم يستلزم الأول الآخر فصار الكلام على هذا التقدير متجدد الفائدة متزائدها ومتى كان كذلك تعين أن يحمل عليه الكتاب العزيز لأنه الغاية في البلاغة .

وبهذه النكتة يجب أن تقول : لاتؤذ مسلما ولاذميا فتؤخر الأدنى على عكس الترتيب في الآية أنك إذا نهيته عن أذى المسلم فقد يقال ذاك من خواصه احتراماً لدين الاسلام فلايلزم من ذلك نهيه عن أذى الكافر المسلوبة عنه هذه الخصوصية فاذا قلت : ولاذميا فقد جدت فائدة لم تكن في الأول وترقيت من النهي عن بعض أنواع الأذى إلى النهي عن أكثر منه ولو رتبت هذه المثال كترتيب الآية فقلت : لاتؤذ ذميا فهم المنهى أن أذى السلم أدخل في النهي إذ يساوى الذمى في سبب الالتزام وهو الإنسانية مثلاً ويمتاز عنه بسبب هو أجل وأعظم وهو الاسلام فيقنعه هذا النهي عن تجديد نهى آخر عن أذى المسلم فان قلت : ولامسلم لم تجدد له فائدة ولم تعلمه غير ما أعلمته أولاً فقد علمت أنها نكتة واحدة توجب أحياناً تقديم الأعلى وأحياناً تأخيره ولايميز لك ذلك إلا السياق وما أشك أن سياق الآية يقتضى تقديم الأدنى وتأخير الأعلى ومن البلاغة المترتبة على هذه النكتة قوله تعالى : ولاتقل لهما أف استغناءً عن نهيه عن ضربهما فما فوّه بتقديم الأدنى ولم يلق ببلاغة الكتاب العزيز أن يريد نهياً عن أعلى من التأفيف والانتهاز لأنه مستغنى عنه وما يحتاج المدير لآيات القرآن مع التأييد شاهداً سواها ولما اقتضى الانصاف تسليم إقتضاء الآية لتفضيل الملائكة وكان القول بتفضيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام اعتقاداً لأكثر أهل السنة والشيعه التزم حمل التفضيل في الآية على غير محل الخلاف وذلك تفضيل الملائكة في القوة وشد البطش وسعة التمكن والاقترار .

وهذا النوع من الفضيلة هو المناسب لسياق الآية لأن المقصود الرد على النصارى في اعتقادهم ألوهية عيسى عليه السلام مستندين إلى كونه أحيا الموتى وأبرأ الأكمه والابرص وصدرت على يديه آثار عظيمة خارقة فناسب ذلك أن يقال : هذا الذى صدرت على يديه هذه الخوارق لاسيستنكف عن عبادة الله تعالى بل من هو أكثر خوارقاً وأظهر آثاراً كالملائكة المقربين الذين من جملتهم جبريل عليه السلام وقد بلغ من قوته وإقدار الله تعالى له أن اقتلع المدائن واحتملها على ريشة من جناحه فقلبها عاليها سافلها فيكون تفضيل الملائكة إذن بهذا الاعتبار ولاخلاف في أنهم أقوى وأبطش وأن خوارقهم أكثر وإنما الخلاف في التفضيل باعتبار مزيد الثواب والكرامات ورفع الدرجات في دار الجزاء وليس في الآية عليه دليل وقد يقال : لما كان أكثر ما لبس على النصارى في ألوهية عيسى عليه السلام كونه موجوداً من غير

أب أنبأ اﷻ تعالى أن هذا الموجود من غير أب لا يستنكف من عبادة اﷻ تعالى ولا الملائكة
المجودون من غير أب ولا أم فيكون تأخير ذكرهم لأن خلقهم أغرب من خلق عيسى عليه السلام
ويشهد أن اﷻ تعالى نظر عيسى بآدم عليهما السلام فنظر الغريب بالأغرب وشبه العجيب من آثار
قدرته بالأعجب إذ عيسى مخلوق من آدم عليهما الصلاة والسلام وآدم عليه السلام من غير أب ولا
أم ولذلك قال سبحانه : خلقه من تراب ثم قال كن فيكون ومدار هذا البحث على النكتة التي
أشير إليها فمتى استقام احتمال المذكور ثانيا على فائدة لم يشتمل عليها الأول بأي طريق
كان من تفضيل أو غيره من الفوائد فقد طابق صيغة الآية انتهى